البحر في القرآن الكريم

آيات ودلالات

د . عبدالله بن عبدالرحمن الرومي

- عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود .
- حصل على درجة الماجستير من جامعة الملك سعود بأطروحته (موارد السيوطي في الإتقان من الدراسات القرآنية) .
- حصل على درجة الدكتوراه من جامعة الملك سعود بأطروحته (دراسات في قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني).

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ونبينا محمد عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد عني المسلمون بالقرآن الكريم عناية فائقة ، ليقينهم بأنه مصدر عزهم وسموهم ، عناية كانت وما تزال محل فخر واعتزاز على الأمم كلها ، ولقد اتخذت تلك العناية اتجاهات متغايرة ومتعددة : فمنهم من اعتنى بحفظه ، ومنهم من اعتنى بضبط حروفه ، ومنهم من اعتنى بمتعلقات الأداء منه ، أو بيان ألفاظه الغريبة أو أسباب النزول أو ناسخه ومنسوخه، وغير ذلك من العلوم ، والتي منها : التفسير ، بأنواعه واتجاهاته .

والأصل أن معنى القرآن مفهوم ، ويتبادر إلى الذهن المراد منه ، وليس معنى هذا أن المسلم يكون مفسراً للقرآن ، فهناك من الدلالات والمعاني ما يختص بعلمها العلماء .

ولوضوح معنى القرآن نجد من أسلم بمجرد سماعه من دون تفسير لآياته ، ومن أجل هذا حاولت في بحثي أن لا آتي بالواضحات ، إلا إذا كان بيان الواضحات هو الطريق لبيان غيرها مما يحتاج إلى بيان ، واللسان العربي يتفاوت مِن جيل إلى جيل ، وما كُل من تكلم العربية استطاع معرفةَ مقاصد الكتاب .

والتفسير ليس مقصوداً لذاته ـ كالجهاد ليس مقصودا لذاته ـ بل لما يستخرج من خلاله من الجمال والكمال والإعجاز والدرر والبديع ، ومن هنا رأيت ما ظهر من الدلالات الربانية من الآيات القرآنية ، من خلال كلام العلماء والمفسرين لآيات البحر في القرآن الكريم ، فعمدت إلى هذا الموضوع : (البحر في القرآن الكريم .... آيات ودلالات) والذي لم أرى من كتب فيه استقلالا كتابة علمية .

وتتفاوت آيات البحر في القرآن الكريم فيما نريد إبرازه من المعاني ، وقد وردت آيات ، وظهرت دلالات كثيرة ، من خلال البحر الذي جاء ذكره في القرآن الكريم ، دلالات في الدين ، ودلالات في الدنيا ، منها ما هو حاصل في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم ، كموسى عليه السلام ومن معه ، ومنها ما هو حاصل للأمم كأمة محمد ﷺ .

وكان ورود البحر في القرآن الكريم في سياقات متعددة ، متفقة تارة في دلالاتها ومختلفة أخرى ، فتأتي من خلال البحر في القرآن الدلالة على وجود الصانع القادر، وعلى وحدانية الله تعالى لمن كان له عقل وتمييز ، وعلى صدق الأنبياء ، وثبت من طريق البحر معجزة ، وذلك حين انشقاقه .

وأغرق الله به المكذبين ، وجاء كيفية إغراقهم في مواضع ، وقد جاء البحر في القرآن موقع الحجة من الدعوى ، وذلك أن الله تعالى أعلن أن الإله إله واحد لا إله غيره وهي قضية من شأنها أن تُتلقى بالإنكار من كثير من الناس ، فناسب إقامة الحجة لمن لا يقتنع ، فجاء بدلائل واضحة لا يسع الناظر إلاّ التسليم إليها كتسخير البحر للركوب الذي هو من أعظم آيات الله كما بينه في مواضع من كتابه .

وقد تأملت ما وجدته من كلام العلماء و المفسرين ، فانتقيت منه ورتبته ونسقته وخلصت إلى نتائج .

واشتمل هذا البحث على الخطة التالية : مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة وفهارس .

المقدمة : وفيها أسباب اختيار الموضوع ، والدراسات السابقة ، واصطلاحات البحث ، وأهداف البحث ، وأسئلة البحث .

التمهيد وفيه عدد الآيات وتصنيفها .

الفصل الأول : تعريف البحر وبيان المرادفات وأوجه الاستعمال .

الفصل الثاني : دلالة آيات البحر في القرآن على وحدانية الله تعالى .

الفصل الثالث : دلالة آيات البحر في القرآن على نعم الله تعالى على عباده .

الفصل الرابع : دلالة آيات البحر في القرآن على صدق النبوة .

الفصل الخامس : دلالة آيات البحر في القرآن على بعض المعاني المتفرقة .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج .

الفهارس اللازمة .

أسباب اختيار الموضوع :

أولا: جدة الموضوع وطرافته ، وعدم بحثه استقلالا ، كدراسة علمية ، على حسب علمي بعد البحث والسؤال .

ثانيا : أهمية الموضوع ، وتظهر أهميته في إبرازه دلالات لا توجد في غيره ، مثل دلالات يبس البحر لموسى عليه السلام ، على الإعجاز .

ثالثا : كون الموضوع يسلط الضوء على المساحة الأكبر في الأرض .

الدراسات السابقة :

وجدت من الدراسات السابقة لهذا الموضوع كتاب : (من آيات الله في البحار)، تأليف: ماهر أحمد صوفي، ط دار المعارف ، سوريا ، حمص ، ١٤١٦هـ. وهو يتحدث مفصلا عن آيات الله في البحار وتفسيرها وفق النظريات العلمية الحديثة ، فهو يفسر بما يسمى اليوم بالتفسير العلمي الحديث ، وهذا لا يلتقي مع موضوع بحثي والذي يتناول الباحث فيه آيات البحر في القرآن واستنباط ما تدل عليه من الفوائد والهدايات والدلالات دراسة موضوعية . [١]

(١) من آيات الله في البحار ص١٤ ، تأليف : ماهر أحمد صوفي ، ط دار المعارف ، سوريا ، حمص، ١٤١٦هـ .

وكذلك وجدت بعض المقالات المتفرقة ، والتي لا تستوعب الموضوع إنما هي إشارات ناقصة وغير دقيقة ، مثل :

- البحر في منظور القرآن الكريم ، لمحمد وليد كامل ، مجلة الخفجي ، مجلة شهرية، العدد السابع ، جمادى الأولى ، ١٤٢٣ هـ ص١٢ - ١٨ .

- البحر والبحرين في القرآن الكريم ،لربحى مصطفى عليان ، مجلة الأمن والحياة مجلة شهرية ، السنة ٢١ العدد ٢٣٩ ، ربيع الآخر ١٤٢٣ هـ ، ص٥٦ - ٥٧ .

أهداف البحث :

- معرفة عدد ورود مفردة (البحر) في القرآن ، ومعرفة ألفاضها : إفرادا وتثنية وجمعا .

- تصنيف آيات البحر في القرآن من جهة المعنى .

- الكشف على الدلالات التي برزت من حديث القرآن عن البحر .

أسئلة البحث :

- كم مرة وردت مفردة (البحر) في القرآن ؟ وما عدد الألفاظ التي ورد بها إفرادا وتثنية وجمعا ؟

- ما تصنيف آيات البحر في القرآن من جهة المعنى ؟

- ما هي الدلالات التي برزت من حديث القرآن عن البحر ؟

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، ويزيدنا علما ، وما يقع من خطأ أو نسيان فمن نفسي والشيطان ، وأستغفر الله ، وما حصل من صواب فمن الله وحده ، فله الحمد والشكر .

التمهيد

وفيه : عدد آيات البحر وتصنيفها

إذا تتبعنا مفردة " بحر " في القرآن الكريم ، وجدناها ذكرت في القرآن إحدى وأربعين مرة على اختلاف ألفاظها : إفرادا ، وتثنية ، وجمعاً ، وهي كما يلي :

وردت بلفظ الإفراد : " البحر " في اثنين وثلاثين موضعاً ، في عشرين سورة .

ووردت بلفظ الإفراد :" بحر " في موضع واحد في سورة (النور) .

ووردت بلفظ التثنية في خمسة مواضع ، في خمسة سور .

ووردت بلفظ الجمع في ثلاثة مواضع ، في ثلاث سور .

وإذا تتبعنا معاني ودلالات آيات البحر في القرآن ، نجد أنها لا تخرج عموماً عن أربعة معاني في الجملة ، وهي كما يلي :

الأول : الدلالة على وحدانية الله تعالى .

الثاني : الدلالة على نعم الله تعالى .

الثالث : الدلالة على صدق الأنبياء .

الرابع : الدلالة على بعض المعاني المتفرقة .

الفصل الأول
تعريف البحر وبيان المرادفات وأوجه الاستعمال

البحر : معروف ، وأما أصل البحر : فقد قال الراغب هو : " كل مكان واسع جامع للماء الكثير ، هذا هو الأصل " [١].

ويكون مالحاً وهو الغالب ، وقد يكون عذباً ، ومن مرادفات البحر في اللغة : اليَمّ ، وكذلك : النهر العظيم ، يسمى : بحراً .

قال ابن منظور : " البحر : الماء الكثير ، ملحاً كان أو عذباً ، وهو خلاف البر ، سمي بذلك لعمقه واتساعه ، وقد غلب على الملح حتى قلّ في العذب " [٢] وقال : " وقد أجمع أهل اللغة أن اليم هو البحر ". وعن ابن سيده: " كل نهر عظيم بحر " وقال الزجاج : " كل نهر لا ينقطع ماؤه ، فهو بحر" وقال الأزهري : " كل نهر لا ينقطع ماؤه مثل دجلة والنيل وما أشبههما من الأنهار العذبة الكبار ، فهو بحر "[٣].

وقال الرازي : " والجمع : أبحر و بحار و بحور ، وكل نهر عظيم : بحر ،.. وماء بحر : أي ملح " . [٤]

ما تقدم هو المعنى اللغوي للبحر ومرادفاته من اليم والنهر ، أما في القرآن فمن المرادف للبحر في القرآن كذلك : اليَمّ ، وقد ورد (اليَم) في القرآن ثمان مرات في سبع آيات في أربع سور .

---

(١) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ص ٣٧ ، دار المعرفة – لبنان ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .

(٢) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة : بحر ، ج ٤ ص ٤١ ، دار النشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة : الأولى .

(٣) لسان العرب مادة : بحر ج ٤ ص ٤٢ ، مصدر سابق .

(٤) مختار الصحاح ، الرازي ، مادة : ب ح ر ، ج ١ ص ١٧ ، دار النشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥ – ١٩٩٥ ، تحقيق : محمود خاطر .

وأطلق اليم في القرآن على : البحر ، وهو الماء المالح الذي أغرق الله تعالى فيه فرعون وجنوده ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٦ : قال الطبري " يقول تعالى ذكره فلما نكثوا عهودهم انتقمنا منهم ، يقول انتصرنا منهم بإحلال نقمتنا بهم وذلك عذابه فأغرقناهم في اليم وهو البحر " [١]

وكذلك أطلق اليم في القرآن على : النهر ، وهو الماء العذب ، كما في قوله تعالى : ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ طه: ٣٩ ، قال ابن جزي : " واليم : البحر ، والمراد به هنا النيل "[٢] وقال القرطبي : " (فاقذفيه في اليم) أي اطرحيه في البحر : نهر النيل " [٣] .

ومن المرادف للبحر في القرآن : النهر ، وقد ورد النهر في القرآن في أربع وخمسين مرة في إحدى وخمسين آية في اثنتين وثلاثين سورة .

وكان إطلاق البحر في القرآن على النهر في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الفرقان: ٥٣ ، قال الزمخشري : " سمى الماءين الكثيرين الواسعين : بحرين ، والفرات : البليغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة والأجاج : نقيضه "[٤] .

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، ج ٩ ص ٤٢ ، دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥ .

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ، الكلبي ج ٣ ص ١٢ ، دار الكتاب العربي - لبنان - ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م ، الطبعة : الرابعة

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ١١ ص ١٩٥ ، دار النشر : دار الشعب – القاهرة .

(٤) الكشاف ، الزمخشري ج ٣ ص ٢٩٢ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .

فيكون من مرادفات البحر في القرآن : اليم ، والذي يطلق على: النهر العذب وهو النيل ، وقد أطلق البحر في القرآن وكان المراد : النهر البليغ العذوبة .

ويرى بعض المفسرين أن البحر في القرآن جاء على أربعة أوجه :

أحدها : البحر المعروف في الأرض ، الثاني : الماء العذب ، الثالث : بحر تحت العرش ، الرابع : العامر من البلاد .

قال ابن الجوزي : " وذكر بعض المفسرين أن البحر في القرآن على أربعة أوجه :

أحدها : البحر المعروف في الأرض ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ الكهف: ٦٠ وقوله تعالى : ﴿ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ الدخان: ٢٤.

والثاني : (البحر) الماء العذب والمالح ، ومنه قوله تعالى في سورة الرحمن: ١٩ : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾.

والثالث : بحر تحت العرش ، ومنه قوله تعالى في سورة الطور: ٦ ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ﴾.

والرابع : العامر من البلاد ، ومنه قوله تعالى في سورة الروم: ٤١ : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

وحاصل ما تقدم أن البحر في اللغة وفي استعمال القرآن :

يطلق على المالح غالباً ، ويطلق على العذب وهو النهر ، ومن مرادفات البحر : اليم ، والذي يطلق على : النهر العذب .

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ، ابن الجوزي ١/ ١٩٨ ، مؤسسة الرسالة – لبنان/ بيروت – ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي .

الفصل الثاني
دلالة آيات البحر في القرآن على وحدانية الله تعالى

نجد أن القرآن الكريم ذكر أحوالاً للبحر فيها دلالة على وحدانية الله تعالى واستحقاقه العبادة ، ومن هذه الأحوال :

أولاً : حمل البحر السفنَ وسيرها فيه :

من أحوال البحر في القرآن الدالة على وحدانية الله تعالى أنه يحمل السفن وتسير فيه بما ينفع الناس ، من الكسب والتجارة وغير ذلك ، والإقرار بهذا الأمر المشاهَد للناس إقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية .

والآيات في ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ البقرة: ١٦٤ ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يونس: ٢٢ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾ لقمان: ٣١ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الشورى: ٣٢ ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الرحمن: ٢٤

والفلك هي : السفن ، قال السمرقندي : ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ ﴾ يعني : السفن ، ويقال للسفينة الواحدة : الفلك ، ولجماعة السفن : الفلك ،

يعني : السفن التي تسير في البحر فتقبل مرة وتدبر مرة بريح واحدة فتسير في البحر ﴿ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ من الكسب والتجارة وغير ذلك "[١] .

وسبب تسمية السفينة فلكاً ، لأنها تدور بالماء بسهولة[٢] ، والسفينة : طائر مقلوب والماء في أسفلها نظير الهواء في أعلاها ، قال ابن العربي : " فالسفينة طائر مقلوب ، والماء في استفاله للسفينة نظير الهواء في اعتلائه " [٣].

ونرى الأمر العجب في جري السفن في البحر في القرآن فهي فتقبل مرة وتدبر مرة بريح واحدة ، قال قتادة : " ترى سفينتين إحداهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة " [٤].

وقد كانت نسبة الجريان إلى : الفلك ، ولا شك أن الذي أجراها هو الله تعالى، أما الفلك فهي من الجمادات ونسبة الجريان إليها لظهوره فيها ، قال ابن حزم في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ : " ومثل هذا كثير جدا ، وبهذا جاءت اللغات في نسبة الأفعال الظاهرة في الجمادات إليها، لظهورها فيها فقط ، لا يختلف لغة في ذلك "[٥] .

إن الآية في الفلك التي يجب أن نتأملها هي تسخيرها من الله تعالى لنا ، ثم جريها على هذا الماء مثقلة بما تحمله من منافع الناس ، بريح واحد ة مقبلة

---

(١) تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ج ١ ص ١٣٦ ، دار الفكر – بيروت ، تحقيق : د.محمود مطرجي .

(٢) اللباب في علوم الكتاب ، عمر بن عادل ج ٣ ص ١٢٢ ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٥ ، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

(٤) تفسير البغوي ج ٣ ص ٦٤ ، دار المعرفة – بيروت ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الظاهري ج ٣ ص ٤٦ ، مكتبة الخانجي – القاهرة .

ومدبرة، وتسخير البحر لحمل الفلك من جانب إلى جانب آخر ، فينتقل ما عند أولائك إلى هؤلاء ، والعكس ، مع قوة سلطان الماء ، وهيجا ن البحر ، أن في ذلك لآية بينة على استحقاق صانع هذا للعبادة دون سواه ، قال السمعاني : " والآية في الفلك : تسخيره وجريها على وجه الماء ، وهي موفرة مثقلة لا ترسب تحت الماء بل تعلو على وجه الماء " [١].

ولا يحصل جريان الفلك على وجه البحر إلا بتسخير ثلاثة أشياء ، قال الرازي :

" **أحدها :** الرياح التي تجري على وفق المراد .

ثانيها : خلق وجه الماء على الملاسة التي تجري عليها الفلك .

ثالثها : خلق الخشبة على وجه تبقى طافية على وجه الماء ولا تغوص فيه .

وهذه الأحوال الثلاثة لا يقدر عليها واحد من البشر ، فلا بد من موجد قادر عليها وهو الله سبحانه وتعالى "[٢] .

ولا شك أن الاطلاع على العجائب التي في البحر من دلائل توحيد الله تعالى، ولا يكون الاطلاع على عجائب البحر إلا بالفلك ولذلك خصها الله تعالى بالذكر ، قال الألوسي : " خص (الفلك) بالذكر مع أن مقتضى المقام حينئذ أن يقال : والعجائب التي في البحر لأنه سبب الإطلاع على أحواله وعجائبه فكان ذكره ذكرا لجميع أحواله وطريقا إلى العلم بوجوده " [٣].

---

(١) تفسير القرآن ، السمعاني ج ١ ص ١٦٣ ، دار الوطن – الرياض – السعودية – ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم .

(٢) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، الرازي ج ٢٧ ص ٢٢٥ ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى .

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي ج ٢ ص ٣١ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

إن إعلان العبودية لله رب العالمين وحده لا شريك له ، قضية كبرى تحتاج إلى آية عظيمة ، لأن هذه الدعوى تفرض على من آمن بها أن تكون حياته ومماته لله وحده ، ولا يكون التصديق بمثل هذه الدعوى إلا بأدلة يؤمن على مثلها البشر ، ولذلك جاء في الحديث قول النبي ﷺ : " ما من الأنبياء نَبيّ إلا أُعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وَحْيًا أَوحاه الله إلي فأَرجو أَن أَكون أَكثرهم تابعًا يوم القيامة " (١) ، فجاء تسخير البحر في القرآن للركوب من أعظم آيات الله تعالى حجة لدعوى التوحيد وإفراده بالعبادة سبحانه .

قال ابن عاشور : " موقع هاته الآية عقب سابقتها موقع الحجة من الدعوى ، ذلك أن الله تعالى أعلن أن الإله إله واحد لا إله غيره وهي قضية من شأنها أن تُتلقى بالإنكار من كثير من الناس فناسب إقامة الحجة لمن لا يقتنع فجاء بهذه الدلائل الواضحة التي لا يسع الناظر إلاّ التسليم إليها " (٢) .

وقال الشنقيطي : " فتسخير البحر للركوب من أعظم آيات الله "(٣) .

ثم إننا نلحظ قضية عقدية في خلق أفعال العباد في تسيير الله تعالى الفلك في البحر ، فتسيير الفلك في البحر : من الله تعالى ، والسير : فعل العباد ، فقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم ﴾ يونس: ٢٢ دليل على أن الحوادث كلها مخلوقة لله تعالى ، فأخبر تعالى بتسيير الفلك في البحر أنه خالق لسيرنا ؛ فالتسيير فعله والسير فعل العباد وهو أثر

---

(١) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، ج ٤ ص ١٩٠٥ ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا

(٢) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، ج ٢ ص ٧٦ ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م .

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي ج ٢ ص ٣٤٣ ، دار الفكر للطباعة والنشر. – بيروت. – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.

التسيير ، وفي هذا رد على القدرية الذين يقولون إن الخلق هم الخالقون لسيرهم ، وهذا رد منهم للقرآن .

قال ابن القيم : " فالتسيير فعله ، والسير فعل العباد وهو أثر التسيير "(١) .

إن في حمل البحر للسفن وسيرها فيه بريح طيبة ثم تحولها إلى ريح عاصف مثال لمكر الإنسان ، من دعاء الله وحده في الضراء دون السراء ، فإذا جرت الفلك بما يوافق المقصود يحصل للراكب الفرح والسرور ، قال الله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا ﴾ يونس: ٢٢ ، ثم إذا جاءت الرياح العاصفة ، والأمواج العظيمة ، وعلامات الهلاك ، انقطع عن المخلوقين وتعلق بالله وحده ، ثم إذا نجاه الله تعالى رجع إلى العقائد الباطلة .

قال الرازي : " واعلم أن الإنسان إذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود ، حصل له الفرح التام والمسرة القوية ، ثم قد تظهر علامات الهلاك دفعة واحدة . فأولها : أن تجيئهم الرياح العاصفة الشديدة . وثانيها : أن تأتيهم الأمواج العظيمة من كل جانب . وثالثها : أن يغلب على ظنونهم أن الهلاك واقع ، وأن النجاة ليست متوقعة ، ولا شك أن الانتقال من تلك الأحوال الطيبة الموافقة إلى هذه الأحوال القاهرة الشديدة يوجب الخوف العظيم، والرعب الشديد ، وأيضاً مشاهدة هذه الأحوال والأهوال في البحر مختصة بإيجاب مزيد الرعب ، والخوف ثم إن الإنسان في هذه الحالة لا يطمع إلا في فضل الله ورحمته ، ويصير منقطع الطمع عن جميع الخلق ، ويصير بقلبه وروحه وجميع أجزائه متضرعاً إلى الله تعالى ، ثم إذا نجاه الله تعالى من هذه البلية العظيمة ،

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، ابن القيم ، ج ١ ص ٥٨ ،دار الفكر – بيروت – ١٣٩٨ ، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي .

ونقله من هذه المضرة القوية إلى الخلاص والنجاة ، ففي الحال ينسى تلك النعمة ويرجع إلى ما ألفه واعتاده من العقائد الباطلة والأخلاق الذميمة " [١] .

قال أبو حيان : " ولما كان الخوف في البحر أغلب على الإنسان منه في البر وقع المثال به لذلك المعنى الكلي به من التجاء العبد لربه تعالى حالة الشدة والإهمال لجانبه حالة الرخاء "[٢] .

إن حمل الناس بالفلك في البحر فيه امتنان من الله تعالى على الناس جميعاً المؤمن والكافر ، وفيه إبراز لنعم الله تعالى ، ولفت الناس إلى جريان الفلك وما فيه من المنافع من أجل أن يشكر المعرض ، ويستديم الشاكر ، قال أبو حيان : " خطاب فيه امتنان وإظهار نعمة للمخاطبين ، والمسيرون في البر والبحر مؤمنون وكفار ، والخطاب شامل ، فحسن خطابهم بذلك ليستديم الصالح على الشكر . ولعل الطالح يتذكر هذه النعمة فيرجع " [٣] .

ويأتي النص القرآني على أن جري السفن في البحر نعمة من الله تعالى على خلقه في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ ﴾ لقمان: ٣١ قال الطبري : " السفن تجري في البحر نعمة من الله على خلقه .. إن في جري الفلك في البحر دلالة على أن الله الذي أجراها هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل " [٤] .

---

(١) التفسير الكبير ج ١٧ ص ٥٥ ، مصدر سابق .

(٢) تفسير البحر المحيط ، أبي حيان الأندلسي ، ج ٥ ص ١٤١ ، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض .

(٣) تفسير البحر المحيط ج ٥ ص ١٤٢ ، مصدر سابق .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢١ ص ٨٤ ، مصدر سابق .

وقد جاء في القرآن تشبيه السفن الجارية في البحر بالأعلام ، وأنها منشئات ، في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾ الشورى: ٣٢ وقوله تعالى: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الرحمن: ٢٤ قال الطبري : " والجواري : جمع جارية ، وهي السائرة في البحر.... وقوله : كالأعلام ، يعني : كالجبال ، واحدها علم "[١] .

فمن علامات توحيد الله تعالى : هذه السفن التي كأنها من عظمها جبال ، قال أبو حيان : " فيها من عظيم دلائل القدرة ، من جهة أن الماء جسم لطيف شفاف يغوص فيه الثقيل ، والسفن تشخص بالأجسام الثقيلة الكثيفة ، ومع ذلك جعل تعالى للماء قوة يحملها بها ويمنع من الغوص . ثم جعل الرياح سبباً لسيرها . فإذا أراد أن ترسو ، أسكن الريح ، فلا تبرح عن مكانها " [٢].

وبين الله تعالى حال هذه السفن الجواري بأنها "المنشئات " : أي : الظاهرات السير اللاتي يقبلن ويدبرن ، والمرفوعات القلاع ، كما يذكر الطبري [٣] .

ثانياً : ظلمات البحر :

نجد من الآيات التي تحدثت عن هذه الحالة ما يلي :

﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنعام: ٦٣

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ الأنعام: ٩٧

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢٥ ص ٣٣ ، مصدر سابق .
(٢) تفسير البحر المحيط ج ٧ ص ٤٩٧ ، مصدر سابق .
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢٧ ص ١٣٣ ، مصدر سابق .

﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ النور: ٤٠

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ النمل: ٦٣

الظلمات مفردها : ظُلْمَة ، وهي : عدم النور ، قال الراغب : " الظلمة : عدم النور ، وجمعها : ظلمات ، .. ويعبر بها عن الجهل والشرك والفسق ، كما يعبر بالنور عن أضدادها " (١).

والموج ، قال ابن عاشور : " والموج : اسم جمع مَوجة ، وهي : مقادير من مَاء البحر أو النهر تتصاعد على سطح الماء من اضطراب الماء بسبب شدة رياح ، أو تزايد مياه تنصبُّ فيه ، ويقال : مَاجَ البحر إذا اضطرب ماؤه " (٢).

قال الطبري في المراد بظلمة البحر : " وعنى بالظلمات : ظلمة الليل ، وظلمة الخطأ والضلال وظلمة الماء " (٣).

وقد جاءت ظلمات البحر في القرآن مثلاً مضروباً على أعمال الكفار ، والبحر اللجي مثلاً لقلب الكافر ، قال الطبري : " وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار ، يقول تعالى ذكره : ومثل أعمال هؤلاء الكفار في أنها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة .. مثل ظلمات في بحر لجي ، ونسب البحر إلى اللجة وصفاً له بأنه عميق كثير الماء ، ولجة البحر : معظمه ، .. فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم ، والبحر اللجي مثلا لقلب الكافر ، يقول : عمل بنية قلب قد غمره الجهل وتغشته الضلال والحيرة ، كما يغشى هذا البحر اللجي موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه

(١) المفردات في غريب القرآن ص ٣١٥ ، مصدر سابق .
(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ١٢ ص ٧٧ ، مصدر سابق .
(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ٢٨٦ ، مصدر سابق .

الظلمات ، يغشاه الجهل بالله بأن الله ختم عليه فلا يعقل عن الله ، وعلى سمعه فلا يسمع مواعظ الله ، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله ، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض " [١].

وما وجه المثل ؟ قال ابن الجوزي : " قال المفسرون : لما ضرب الله للمؤمن مثلا بالنور ضرب للكافر هذا المثل بالظلمات " [٢].

وجاءت ظلمات البحر لبيان كمال رحمة الله تعالى بنجاة من أراد من خلقه منها، قال الرازي في تفسير هداية الله تعالى للناس من ظلمات البحر : " اعلم أن هذا نوع آخر من الدلائل الدالة على كمال القدرة الإلهية ، وكمال الرحمة والفضل والإحسان " [٣].

والهداية : فيها وجهان : قال السدي : " أحدهما : يرشدكم من مسالك البحر ، الثاني : يخلصكم من أهوال البحر "[٤] .

وكيف تكون الهداية من الله تعالى للناس في ظلمات البحر ؟ قال الزمخشري : " بالنجوم في السماء " [٥] وقال ابن عاشور : " فالله الهادي للسير في تلك الظلمات، بأن خلق النجوم على نظام صالح للهداية في ذلك ، وبأن ركّب في الناس مدارك للمعرفة بإرصاد سيرها وصعودها وهبوطها ، وهداهم أيضاً

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٨ ص ١٥٠ ، مصدر سابق .

(٢) زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ج ٦ ص ٥١ ، المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤ ، الطبعة : الثالثة

(٣) التفسير الكبير ج ١٣ ص ١٨ ، مصدر سابق .

(٤) النكت والعيون تفسير الماوردي ج ٤ ص ٢٢٣ ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم .

(٥) الكشاف ج ٣ ص ٣٨١ ، مصدر سابق .

بمهاب الرياح ، وخوّلهم معرفة اختلافها بإحساس جفافها ورطوبتها ، وحرارتها وبردها "[١].

وعند وقوع ظلمات البحر على الناس ، يرجعون إلى الله تعالى ويوحدونه ويخلصون له الدعاء ، فإذا نجاهم من شدائد الظلمات ، نقضوا عهدهم ، وبالغوا في الكفر ، قال الرازي : "والمقصود أن عند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الإنسان إلا إلى الله تعالى ، وهذا الرجوع يحصل ظاهراً وباطناً ، لأن الإنسان في هذه الحالة يعظم إخلاصه في حضرة الله تعالى ، وينقطع رجاؤه عن كل ما سوى الله تعالى .. فإن الإنسان بعد الفوز بالسلامة والنجاة .. يقدم على الشرك "[٢] .

فحال هؤلاء إقرار بالتوحيد حال الشدائد فقط ، وأما عند الإنجاء منه فيشركون ، قال البقاعي : " أحوالهم في إقرار توحيده وقت الشدائد والرجوع عن ذلك عند الإنجاء منها ، فكانوا كمن طلب من شخص شيئاً وأكد له الميثاق على الشكر ، فلما أحسن إليه بإعطائه سؤله نقض عهده وبالغ في الكفر ، وذلك عندهم في غاية من القبائح لا توصف " [٣].

ثالثاً : شمول علم الله تعالى على ما في البحر :

وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ٥٩ والسبب في تخصيص البحر بالذكر

(١) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٠ ص ١٧ ، مصدر سابق .

(٢) التفسير الكبير ج ١٣ ص ١٨ ، مصدر سابق .

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، ج ٢ ص ٦٥٠ ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي .

مع ما ذكره في هذه الآية ،لأنه من أعظم مخلوقات الله ، أو لكونه أكثر ما يشاهده الناس ويتطلعون لعلم ما فيه [1] ، وقال القرطبي : " خصهما (البر والبحر) بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات المجاورة للبشر "[2] .

ولا شك أن تعلق علم الله تعالى : بالمشاهدات للناس ، وكذلك بما غاب عنهم ، وقد جاء البحر في الآية المتقدمة لبيان علم الله تعالى بالمشاهدات إثر بيان تعلق علمه تعالى بالمغيبات ، وهذا فيه تنبيه على أن الكل في علم الله تعالى سواء ، قال الألوسي : " والمراد من هذه الجملة كما قال غير واحد ، بيان تعلق علمه تعالى بالمشاهدات إثر بيان تعلقه بالمغيبات ، تكملة له وتنبيها على أن الكل بالنسبة إلى علمه المحيط سواء "[3] .

فيصير علم الله تعالى لما في البحر مثالا محسوسا ، مقوياً ومكملاً للعظمة الحاصلة تحت قوله : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ كما يذكر الرازي[4]، وقال البيضاوي : " فهو عطف للأخبار عن تعلق علمه تعالى بالمشاهدات ، على الإخبار عن اختصاص العلم بالمغيبات به " [5].

فيكون معنى الكلام كما يقول الطبري : " عند الله علم ما غاب عنكم أيها الناس مما لا تعلمونه ولن تعلموه مما استأثر بعلمه نفسه ، ويعلم أيضا مع ذلك جميع ما يعلمه جميعكم لا يخفى عليه شيء لأنه لا شيء إلا ما يخفى عن الناس أو ما لا يخفى عليهم " [6].

---

(١) انظر : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، الشوكاني ، ج ٢ ص ١٢٣ ، دار النشر : دار الفكر – بيروت

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ٧ ص ٤ ، مصدر سابق .

(٣) روح المعاني ج ٧ ص ١٧١، مصدر سابق .

(٤) التفسير الكبير ج ١٣ ص ٩ ، مصدر سابق .

(٥) تفسير البيضاوي ج ٢ ص ٤١٦ ، دار الفكر – بيروت .

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٧ ص ٢١٣ ، مصدر سابق .

وأما لماذا قدم (اشتمال علم الله تعالى على البر) ، على (اشتمال علمه تعالى على البحر) قال الرازي : " لأن الإنسان قد شاهد أحوال البر ، وكثرة ما فيه من المدن والقرى والمفاوز والجبال والتلال ، وكثرة ما فيها من الحيوان والنبات والمعادن . وأما البحر فإحاطة العقل بأحواله أقل إلا أن الحس يدل على أن عجائب البحار في الجملة أكثر وطولها وعرضها أعظم وما فيها من الحيوانات وأجناس المخلوقات أعجب "[1] .

ومناسبة ذكر علم الله تعالى على ما في البحر بعد ذكر علمه تعالى مفاتح الغيب ، قال الرازي : " ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ قضية عقلية محضة مجردة ، فالإنسان الذي يقوى عقله على الإحاطة بمعنى هذه القضية نادر جداً . والقرآن إنما أنزل لينتفع به جميع الخلق . فهاهنا طريق آخر ، وهو : أن من ذكر القضية العقلية المحضة المجردة ، فإذا أراد إيصالها إلى عقل كل أحد ذكر لها مثالاً من الأمور المحسوسة الداخلة تحت القضية العقلية الكلية ، ليصير ذلك المعقول بمعاونة هذا المثال المحسوس مفهوماً لكل أحد ، والأمر في هذه الآية ورد على هذا القانون ، لأنه قال أولاً : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ ثم أكد هذا المعقول الكلي المجرد بجزئي محسوس فقال : ﴿ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ ﴾ وذلك لأن أحد أقسام معلومات الله هو جميع دواب البر والبحر ، والحس والخيال قد وقف على عظمة أحوال البر والبحر ، فذكر هذا المحسوس يكشف عن حقيقة عظمة ذلك المعقول "[2].

رابعاً : الضُّرّ والغَرَق في البحر :

جاء البحر في القرآن الكريم على أنه من مظان الضر والغرق من الله تعالى على من خالف أمره وأشرك مع الله تعالى أحداً من خلقه ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا

(١) التفسير الكبير ج ١٣ ص ٩

(٢) التفسير الكبير ج ١٣ ص٩ ، مصدر سابق .

مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾ ﴾الإسراء: ٦٧ – ٦٩ وأسباب الهلاك من الله تعالى على من خالف أمره كثيرة وليس الغرق في البحر وحده ، ففي جانب البر مثله وهو : الخسف ، قال الزمخشري : " ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف ؛ لأنه تغييب تحت التراب كما أنّ الغرق تغييب تحت الماء ، فالبرّ والبحر عنده سيان يقدر في البر على نحو ما يقدر عليه في البحر ، فعلى العاقل أن يستوي خوفه من الله في جميع الجوانب وحيث كان "[١].

وقد عَجّلَ الله تعالى عقوبة الغرق في البحر على من اتبع أمر فرعون ، في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ﴾ هود: ٩٦ – ٩٩ قال الطبري : " يقول الله تعالى ذكره : وأتبعهم الله في هذه ، يعني في هذه الدنيا مع العذاب الذي عجله لهم فيها من الغرق في البحر : لعنته "[٢].

وبالمقابل أنجى الله تعالى من الغرق في البحر مَن آمن به ، مِن أتباع رسوله موسى عليه السلام ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الشعراء: ٦٥ – ٦٧ قال الطبري : " وأنجينا موسى مما أتبعنا به فرعون وقومه ، من الغرق في

(١) الكشاف ج ٢ ص ٦٣٥ ، مصدر سابق .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٢ ص ١١٠ ، مصدر سابق .

البحر ، ومن مع موسى من بني إسرائيل أجمعين .. ثم أغرقنا فرعون وقومه من القبط في البحر بعد أن أنجينا موسى منه ومن معه " [١] .

إن تغريق الله تعالى في البحر للمكذبين : سنة الله تعالى في خلقه على من سلك هذا المسلك من تكذيب رسل الله تعالى ، قال الطبري في إغراق الله تعالى للمكذبين : " لدلالة بينة يا محمد لقومك من قريش ، على أن ذلك سنتي فيمن سلك سبيلهم من تكذيب رسلي ، وعظة لهم وعبرة أن ادكروا واعتبروا أن يفعلوا مثل فعلهم من تكذيبك ، مع البرهان والآيات التي قد أتيتهم فيحل بهم من العقوبة نظير ما حل بهم " [٢] .

وقد أنعم الله تعالى على المصدقين رسل الله تعالى بالنجاة من الغرق كما في قصة موسى عليه السلام ، وفي ذلك دلالة على تنجية الله تعالى للمؤمنين من كل ما كانوا يخشونه ، ومما يخشونه : الغرق ، كما قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾﴾ طه: ٧٧ قال ابن جزي : " أي : لا تخاف أن يدركك فرعون وقومه ، ولا تخشى الغرق في البحر "[٣] بل أمرهم الله تعالى أن لا يخافوا ، قال السعدي : " وأمرهم الله أن لا يخافوا من إدراك فرعون ، ولا يخشوا من الغرق في البحر "[٤].

خامساً : الحاجز بين البحرين :

ذكرنا أن البحر في اللغة وفي استعمال القرآن : يطلق على المالح غالباً ، ويطلق على العذب وهو النهر .

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٩ ص ٨٢ ، مصدر سابق .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٩ ص ٨٢ ، مصدر سابق .

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل ج ٣ ص ١٦ ، مصدر سابق .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ج ١ ص ٥١٠ ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، تحقيق : ابن عثيمين .

وقد جعل الله تعالى بين البحرين : المالح والعذب ، حاجزاً مانعاً من اختلاط أحدهما بالآخر ، فلا يفسد أحدهما الآخر ، ومن الآيات الدالة على ذلك ، قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الفرقان: ٥٣

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ النمل: ٦١ ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾ الرحمن: ١٩ – ٢٠

فالحاجز بين البحرين : المالح والعذب ، من خصائص ربوبية الله تعالى[١] ، وهو من بديع الحكمة أن جعل الله تعالى هذا الحاجز المعنوي ، قال ابن عاشور : " وجعل الحاجز بين البحرين من بديع الحكمة ، وهو حاجز معنوي حاصل من دفع كلا الماءين : أحدهما الآخر عن الاختلاط به ، بسبب تفاوت الثقل النسبي لاختلاف الأجزاء المركب منها الماء الملح والماء العذب . فالحاحز حاجز من طبعهما وليس جسماً آخر فاصلاً بينهما " [٢] ، وقال الزمخشري : " أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقين ، لا فصل بين الماءين في مرأى العين ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ ﴾ حاجز من قدرة الله تعالى ﴿ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ لا يتجاوزان حدّيهما ، ولا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة "[٣] .

أن هذا الحاجز بين البحرين لحكمة من الله تعالى ، فيه منافع للناس ، فالمالح : به يطيب الهواء ، ويتولد السمك والحوت ، والعذب : منه يشربون ، وتشرب أشجارهم ، قال السعدي : " ويحصل النفع بكل منهما . فالعذب : منه يشربون

---

(١) الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب ، حمد آل معمر ج ٧ ص ٤٦٤ .
(٢) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٠ ص ١٣ ، مصدر سابق .
(٣) الكشاف ج ٤ ص٤٤٥ ، مصدر سابق .

وتشرب أشجارهم وزروعهم وحروثهم ، والملح : به يطيب الهواء ويتولد السمك والحوت ، واللؤلؤ والمرجان " [١] .

فيتحصل أن الحاجز بين البحرين من دلائل ربوبية الله تعالى المستلزمة إفراده تعالى بالعبودية وحده ، وأن فيه منافع للناس .

سادساً :الفساد في البحر :

جاء في القرآن ما يدل على ظهور الفساد في البحر في قوله تعالى : ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ الروم: ٤١ قال ابن عباس في معنى الفساد في البحر : " هو نقصان البركة بأعمال العباد كي يتوبوا . قال النحاس : وهو أحسن ما قيل في الآية [٢] " فظهور الفساد فيه : هو بارتفاع البركات ، ونزول رزايا ، وحدوث فتن ، وتغلب عدو كافر[٣] ، وسبب ظهور هذا الفساد : قال ابن جزي : " وظهور الفساد في البحر بالغرق وقلة الصيد وكساد التجارات ، وشبه ذلك ، وكل ذلك بسبب ما يفعله الناس من الكفر والعصيان "[٤]

سابعاً: امتلاء البحر دون أن يفيض :

جاء قسم الله تعالى بالبحر المسجور : الممتلئ ، وهو مع امتلائه لا يفيض ويجري ويغمر وجه الأرض ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ﴾ الطور: ٦ ، وهذا الأغلب من معاني السّجْر ، قال الطبري : " وأولى الأقوال في ذلك عندي

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ج ١ ص ٨٣٠ ، مصدر سابق .

(٢) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ١٤ ص ٤٠ ، مصدر سابق .

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي ، ج ٤ ص ٣٤٠ ، دار الكتب العلمية – لبنان – ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد .

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل ج ٣ ص ١٢٤ ، مصدر سابق .

بالصواب قول من قال : معناه : والبحر المملوء المجموع ماؤه بعضه في بعض ، وذلك أن الأغلب من معاني السجر : الإيقاد ، كما يقال : سجرت التنور ، بمعنى أوقدت ، أو الامتلاء .. فإذا كان ذلك الأغلب من معاني السجر وكان البحر غير موقد اليوم ، وكان الله ـ تعالى ذكره ـ قد وصفه بأنه مسجور ، فبطل عنه إحدى الصفتين وهو الإيقاد ، صحت الصفة الأخرى التي هي له اليوم وهو الامتلاء ، لأنه كل وقت ممتلئ " (١).

ثامناً : التمثيل بالبحر :

ورد في القرآن ضرب المثل بالبحر ، بأن لو كان مداداً لكلمات الله تعالى ، والمداد : ما يكتب به ، وهو : اسم ما يمد الشيء كالحبر للدواة ـ للقلم الذي يكتب به كلمات الله وحكمه وآياته الدالات ، من وعده بالثواب والعقاب ، وذكره ما خلق وما هو خالق ، وعلم القرآن ، ومواعظه تعالى وعلمه وحكمته وعجائبه ، لنفد البحر ، وما نفدت كلمات الله تعالى ،(٢) كما في قوله تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ الكهف: ١٠٩

ولو أن شجر الأرض كلها بريت أقلاما ، والبحر لهذه الأقلام مدادا ، ومن بعده سبعة أبحر ، تكتب هذه الأقلام كلام الله تعالى بذلك المداد من البحار ، لتكسرت تلك الأقلام ولنفد ذلك المداد ولم تنفد كلمات الله وعلمه تعالى (٣)، كما

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢٧ ص ٢٠ ، مصدر سابق .

(٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٦ ص ٣٩ مصدر سابق ، تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار الفكر – بيروت – ١٤٠١ ، ج ٣ ص ١٠٩ ، تفسير البيضاوي ج ٣ ص ٥٢٦ مصدر سابق .

(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٢١ ص ٨٠ ، مصدر سابق .

في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ لقمان: ٢٧ .

وهل إذا نفذ البحر تنفذ بعده كلمات الله تعالى ؟ قال الزركشي : " ليس المراد أن كلمات الله تنفذ بعد نفاذ البحر، بل لا تنفذ أبدا ، لا قبل نفاذ البحر ولا بعده ، وحاصل الكلام : لنفذ البحر ولا تنفذ كلمات ربي " (١).

والبحار السبع التي تمد البحر ، هي بحار غير موجودة ، قال الرازي : ﴿ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ إشارة إلى بحار غير موجودة ، يعني لو مدت البحار الموجودة بسبعة أبحر أخر " (٢).

وحصر البحار بـ (سبعة) غير مراد ، بمعنى : لو كانت أكثر من سبعة بحار تمد البحر هل تنفذ كلمات الله تعالى ؟ قال الرازي : " ليس لانحصارها في سبعة ، وإنما الإشارة إلى المدد والكثرة ولو بألف بحر ، والسبعة خصصت بالذكر من بين الأعداد ، لأنها عدد كثير يحصر المعدودات في العادة ، والذي يدل عليه وجوه .....فصارت السبعة كالعدد الحاصر للكثرات الواقعة في العادة فاستعملت في كل كثير " (٣).

كما أن التمثيل بالبحر ورد في الأثر ، حيث مثلت الفتن التي تموج ، كموج البحر ، وذلك في حديث حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال قال عُمَرُ رضي الله عنه : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ حَدِيثَ رسول اللهَّ ﷺ عن الْفِتْنَةِ ؟ قال : قلت : أنا أَحْفَظُهُ كما قال ، قال : إِنَّكَ عليه لجَرِيءٌ ، فَكَيْفَ ؟ قال : قلت : فِتْنَةُ الرَّجُلِ في أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ

---

(١) البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، ج ٣ ص ٣٩٩ ، دار المعرفة - بيروت - ١٣٩١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٢) التفسير الكبير ج ٢٥ ص١٣٨ ، مصدر سابق .

(٣) التفسير الكبير ج ٢٥ ص ١٣٨ ، مصدر سابق .

تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْمَعْرُوفُ .. قال : ليس هذه أُرِيدُ ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ التي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ .. الحديث [1] .

تاسعاً : تسجير البحر :

من أحوال البحر في القرآن التي تكون من أشراط الساعة ، وفيها الدلالة على وحدانية الله تعالى ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦ ﴾ التكوير: ٦ وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ ﴾ الانفطار: ٣ ، اختلف المفسرون في معنى : التسجير ، فقال بعضهم :اشتعلت نارا وحميت ، وقال آخرون معنى ذلك فاضت ، وقال آخرون بل عني بذلك أنه ذهب ماؤها ، قال الطبري : "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ملئت حتى فاضت فانفجرت وسالت ، كما وصفها الله به في الموضع الآخر فقال: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ ﴾ الانفطار: ٣ والعرب تقول للنهر أو للركي المملوء : ماء مسجور " [2].

وتسجير البحر وتفجيره هو تغير لأحوال البحار عن صورتها المعهودة ، ومن الأشياء التي إذا وقعت حينها علمت كل نفس ما حضر لديها من الأعمال ، التي قدمتها .

---

(١) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، ج ٢ ص ٥٢٠ ، مصدر سابق .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٣٠ ص ٦٨ ، مصدر سابق .

الفصل الثالث

دلالة آيات البحر في القرآن على نعم الله تعالى على عباده

وردت آيات البحر في القرآن في مواضع دالة على نعم الله تعالى ، وامتنانه على عباده ، من خلال أمور ، منها :

أولاً : أكل صيد البحر وطعامه :

جاء الامتنان بنعمة الله تعالى على عباده بصيد البحر وبطعامه ، في قوله تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ المائدة: ٩٦ ، فقد أجمع العلماء على أن صيد البحر وطعامه : حلال ، أكله وبيعه وشراؤه ، للمقيم والمسافر [١] ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : " صَيْده ما اصْطيدَ وطعامه ما رَمَى بِه " [٢] .

وقد جاء وصف لحم البحر الذي سخره الله تعالى لعباده بأنه : طَرِيّاً ، وهذا يدل على قدرة الله تعالى وحكمته ، من جهة إظهار الضد من الضد ، فيخرج الله تعالى لنا لحماً طرياً عذباً من البحر المالح ، كما في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾ النحل: ١٤ وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ

---

(١) انظر : شرح صحيح البخاري ج ٤ ص ٤٨٢ ابن بطال ، مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ابن رشد ج ١ ص ٢٦٥ ، دار الفكر – بيروت ، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، ابن قدامة ، ج ٣ ص ١٦٥، دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى .

(٢) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ،ج ٥ ص ٢٠٩٢، مصدر سابق .

وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ فاطر: ١٢ ، قال الرازي : " واعلم أن في ذكر الطري مزيد فائدة ، وذلك لأنه لو كان السمك كله مالحاً ، لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري ، فإنه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الذي لحمه في غاية العذوبة علم أنه إنما حدث لا بحسب الطبيعة ، بل بقدرة الله وحكمته حيث أظهر الضد من الضد "[١] .

ولحم البحر : طرياً عذباً ، والطري : الناعم الغض [٢].

وقال ابن منظور : " الغض : الطري الذي لم يتغير " [٣] وقال الراغب : " والغض الطري الذي لم يطل مكثه " [٤].

وقال الفيروزبادي : " الطازج : الطري " [٥] ، وقال المناوي : " الطري : الشيء الغض ومنه الطرواة " [٦].

فيكون معنى : اللحم الطري : الناعم الطازج الغض الذي لم يطل مكثه .

وأما اللحم العذب : المستساغ ، قال ابن منظور : " العذب من الشراب والطعام : كل مستساغ " [٧] .

---

(١) التفسير الكبير ج ٢٠ ص ٦ ، مصدر سابق .

(٢) انظر : تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، الحميدي ، ج ١ ص ٤٦٧ ، مكتبة السنة – القاهرة – مصر – ١٤١٥ – ١٩٩٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الدكتورة : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز . طلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية ، النسفي ، ج ١ ص ١٧١، دار النفائس – عمان – ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك.

(٣) لسان العرب ، مادة (غضض) ج ٧ ص ١٩٦ ، مصدر سابق .

(٤) المفردات في غريب القرآن ، الراغب ، ص ٣٦١ ، مصدر سابق .

(٥) القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، باب الجيم ، فصل الطاء ، ص ٢٥٢ مؤسسة الرسالة –بيروت .

(٦) التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي ، ص ٤٨٢ ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق – ١٤١٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية .

(٧) لسان العرب ، مادة (عذب) ج ١ ص ٥٨٣ ، مصدر سابق .

ومن الجائز أكله في البحر: الميتة فيه ، جاء في صحيح مسلم : " بَاب إِبَاحَةِ مَيْتَاتِ الْبَحْرِ " وذكر حديث جابر رضي الله عنه ، قال بَعَثَنَا رسول اللهَّ ﷺ ـ وفيه ـ وَانْطَلَقْنَا على سَاحِلِ الْبَحْرِ فَرُفِعَ لنا على سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الْكَثِيبِ الضَّخْمِ فَأَتَيْنَاهُ فإذا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَى الْعَنْبَرَ قال : قال أبو عُبَيْدَةَ : مَيْتَةٌ ، ثُمَّ قال : لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رسول اللهَّ ﷺ وفي سَبِيلِ اللهَّ وقد اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا ، قال : فَأَقَمْنَا عليه شَهْرًا وَنَحْنُ ثَلَاثُ مِائَةٍ حتى سَمِنَّا .

وفي الحديث : أَتَيْنَا رَسُولَ اللهَّ ﷺ فَذَكَرْنَا ذلك له ، فقال : هو رِزْقٌ أَخْرَجَهُ الله لَكُمْ ، فَهَلْ مَعَكُمْ من لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا ، قال : فَأَرْسَلْنَا إلى رسول اللهَّ ﷺ منه فَأَكَلَهُ [(١)].

ثانياً : حلية البحر :

الحليةُ : اسم لما يتحلَّى به [(٢)] ، وسميت : حلية ، لأنها تحلي الجوارح في أعين الناظرين [(٣)].

ومن نعم الله تعالى على عباده : الحلية التي في البحر ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمًا طَرِيًّا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةً تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾النحل: ١٤ وقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَسۡتَوِى ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأۡكُلُونَ لَحۡمًا طَرِيًّا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةً تَلۡبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ فاطر:

---

(١) صحيح مسلم ، ج ٣ ص ١٥٣٥ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

(٢) اللباب في علوم الكتاب ج ١٢ ص ٢٩ ، مصدر سابق .

(٣) نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، محمد بن علي الترمذي ج ٢ ص ٥، دار الجيل – بيروت – ١٩٩٢م ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة

١٢ ،وفي قوله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٢١ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٢٢ ﴾ الرحمن: ١٩ – ٢٢ وقد جاء الامتنان بهذه النعمة من الله تعالى على الجميع : الرجال والنساء [١]، فما كان من ذهب فللإناث ، ويحرم على الذكور ، و ما كان من فضة أو جوهر فمطلق للرجال والنساء [٢] .

والمراد بالحلية : قال الطبري والنحاس وغيرهما : " اللؤلؤ والمرجان " [٣] ، وقال الجصاص : " الحلية هاهنا : اللؤلؤ وما يتحلى به مما يخرج من البحر " [٤] ، وقال الواحدي : " الحلية : الدر والجواهر " [٥] ، وقال الرازي : " المعهود في القرآن في لفظ الحلي : اللآليء " [٦] .

وهل تخرج الحلية من المالح ومن العَذْب ؟ قيل : إن الحلية لا تخرج إلا من البحر الملح دون العذب ، فكيف قال : ﴿ وَمِن كُلٍّ ﴾ أي : كل واحد منهما ، قال ابن جزي : " فالجواب من ثلاثة أوجه :

الأول : أن ذلك تجوز في العبارة كما قال : ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ ﴾ الأنعام: ١٣٠ ، والرسل إنما هي من الإنس .

---

(١) انظر : أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ١٢٧ ، مصدر سابق .

(٢) نوادر الأصول في أحاديث الرسول ج ٢ ص ٥ ، مصدر سابق .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٤ ص ٨٨ ، مصدر سابق . معاني القرآن الكريم ، النحاس ، ج ٥ ص ٤٤٦ ، جامعة أم القرى – مكة المرمة – ١٤٠٩ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد علي الصابوني .

(٤) أحكام القرآن للجصاص ج ٥ ص ٢٤٦ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٠٥ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي ج ١ ص ٦٠٢ ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق ، بيروت – ١٤١٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي .

(٦) التفسير الكبير ج ١٦ ص ٣٨ ، مصدر سابق .

الثاني : أن المرجان إنما يوجد في البحر الملح ، حيث تنصب أنهار الماء العذب ، أو ينزل المطر ، فلما كانت الأنهار والمطر ، وهي البحر العذب ، تنصب في البحر الملح ، كان الإخراج منهما جميعا .

الثالث : زعم قوم أنه يخرج اللؤلؤ والمرجان من الملح والعذب ، وهذا قول يبطله الحس " [١].

قال الشنقيطي : "قوله ﴿ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾ دليل قرءاني واضح ، على بطلان دعوى من ادّعى من العلماء أن اللؤلؤ والمرجان لا يخرجان إلاّ من البحر الملح خاصّة " [٢].

والحلية لها منافع كثيرة ، والذي ورد في الآية : اللبس ، وهو تنبيه على غاية الحلية [٣].

واللّباس : قال ابن عاشور : " اسم لما يلبَسه الإنسان ، أي يستُر به جزءاً من جسده ، فالقميص لباس ، والإزار لباس ، والعمامة لباس ، ويقال لبس التّاج ولبس الخاتم " [٤].

ثالثاً : التجارة في البحر :

دلّ البحر في القرآن على نعمة الله تعالى على عباده بتجارة البحر [٥] ، كما يذكر المفسرون في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ النحل: ١٤ قال الطبري : " وقوله

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ج ٣ ص ١٥٦ ، مصدر سابق .
(٢) أضواء البيان ج ٦ ص ٥ ، مصدر سابق .
(٣) انظر : تفسير البحر المحيط ج ٥ ص ٤٦٥ ، مصدر سابق .
(٤) تفسير التحرير والتنوير ج ٨ ص ٧٤ ، مصدر سابق .
(٥) تفسير التحرير والتنوير ج ٢٢ ص ٢٨١ ، مصدر سابق .

﴿ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ يقول تعالى ذكره ، ولتتصرفوا في طلب معايشكم بالتجارة "[١] ، وبنحوه قال الثعلبي[٢] ، وقال السمرقندي : " ﴿ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ أي : لكي تطلبوا من رزقه ، حين تركبون السفينة للتجارة " [٣] وقال الزمخشري : " ﴿ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الروم: ٤٦ ، يريد تجارة البحر " [٤] .

وقد ذكر البخاري في صحيحه : " باب التجارة في البحر " [٥] ، وكان تميم الداري رضي الله عنه عظيم التجارة في البحر[٦] .

رابعاً : ركوب البحر :

عقد البخاري في صحيحه : " بَاب رُكُوبِ الْبَحْرِ [٧] " ، وذكر مالك رحمه الله أن عمر بن الخطاب كان يمنع الناس من ركوب البحر ، فلم يركبه أحد طول حياته ، فلما مات استأذن معاوية عثمان في ركوبه فأذن له ، فلم يزل يركب حتى كان أيام عمر بن عبد العزيز فمنع الناس عمر بن عبد العزيز من ركوبه ، ثم ركب بعده إلى الآن .

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٤ ص ٨٩ ، مصدر سابق .

(٢) الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ، الثعلبي ، ج ٦ ص ٢٦٨ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور .

(٣) تفسير السمرقندي ج ٢ ص ٢٦٨ ، مصدر سابق .

(٤) الكشاف ج ٣ ص ٤٨٩ ، مصدر سابق .

(٥) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ،ج ٢ ص ٧٢٧ ، مصدر سابق .

(٦) سنن البيهقي الكبرى ، ج ٣ ص ١٥٤ ، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤ – ١٩٩٤ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

(٧) الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ،ج ٣ ص ١٠٦٠ ، مصدر سابق .

وقال ابن عبدالبر : " وهذا إنما كان من عمر (بن الخطاب) وعمر (ابن عبدالعزيز) رضي الله عنهما في التجارة وطلب الدنيا ، والله أعلم " . [١] وعن ابن عمر أنه كان يكره ركوب البحر إلا لثلاث غاز أو حاج أو معتمر[٢] ، وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ يقول جاء رَجُلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال يا رَسُولَ الله : إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ ، وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا ، أَفَنَتَوَضَّأُ به؟ فقال رسول الله ﷺ : " هو الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ [٣]" ، قال ابن عبدالبر : " وفي حديث هذا الباب من الفقه : إباحة ركوب البحر ، لأن رسول الله ﷺ لو كره ركوبه لنهى عنه الذين قالوا : إنا نركب البحر ، وقولهم هذا يدل على أن ذلك كان كثيرا ما يركبونه لطلب الرزق من أنواع التجارة وغيرها ، وللجهاد وسائر ما فيه إباحة أو فضيلة ، والله أعلم ، فلم ينههم عن ركوبه " [٤].

ومما جاء في السنة أيضاً مما يدل على ركوب البحر في زمن النبي ﷺ حديث تميم الداري رضي الله عنه ، حيث قدم على رسول الله ﷺ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ فَأَخبر رَسُولَ اللهَّ ﷺ ـ وفيه أنه ـ ركب البحر [٥].

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر ، ج ١ ص ٢٣٣ وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٣٨٧ ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري .

(٢) المصنف ، الصنعاني ج ٥ ص ٢٨٤، دار النشر : المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

(٣) موطأ الإمام مالك ، ج ١ ص ٢٢، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – مصر – – ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي

(٤) التمهيد لابن عبد البر ج ١٦ ص ٢٢١ ، مصدر سابق .

(٥) صحيح مسلم ج ٤ ص ٢٢٦٥ ، مرجع سابق .

وقال الجصاص في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ البقرة: ١٦٤ " دلالة على إباحة ركوب البحر غازيا وتاجرا ومبتغيا لسائر المنافع ، إذ لم يخص ضربا من المنافع دون غيره " (١)

وقال ابن العربي : " في هذه الآية جواز ركوب البحر "(٢) يعني قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ يونس: ٢٢ ، وقال : " أما القرآن فيدل على جواز ركوب البحر مطلقا "(٣).

وقد امتن الله تعالى على عباده بجريان الفلك في البحر ، قال ابن عاشور : " وفي امتنان الله تعالى بجريان الفلك في البحر دليل على جواز ركوب البحر من غير ضرورة ، مثل ركوبه للغزو والحج والتجارة " (٤).

ولا شك أن من نعم الله تعالى على عباده تسخير البحر لهم للركوب ، وهذا من عظيم آياته وكبير سلطانه ، ونبههم على شكره عليها بقوله ﴿ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ النحل: ١٤(٥) .

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ج ١ ص ١٣١ ، مصدر سابق .
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٤ ، مصدر سابق .
(٣) أحكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ٥ مرجع سابق ، وانظر : الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ٢ ص ١٩٥ مرجع سابق ، تفسير البحر المحيط ج ٥ ص ٤٦٦ مصدر سابق .
(٤) تفسير التحرير والتنوير ج ٢ ص ٨١ ، مصدر سابق .
(٥) انظر : شرح صحيح البخاري لابن بطال ج ٦ ص ١٣١ ، مصدر سابق .

خامسا : عدم اختلاط البحرين :

من نعم الله تعالى على عباده أن خلط البحرين : المالح والعذب ، ومنع أن يفسد المالح العذب عن عذوبته ، نرى ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ الفرقان: ٥٣ ، قال الطبري : " من نعمته على خلقه وعظيم سلطانه ، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج ، ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته وإفساده إياه بقضائه وقدرته ، لئلا يضر إفساده إياه بركبان الملح منهما ، فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى الماء ، فقال جل ثناؤه : ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا ﴾ يعني : حاجزا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر ، ﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ يقول : وجعل كل واحد منهما حراماً محرماً على صاحبه أن يغيره ويفسده " [١].

وليس عدم اختلاط البحرين بأن جعل الله تعالى بينهما أرضاً يابسة ، قال الطبري : " لأن الله تعالى ذكره ، أخبر في أول الآية أنه مرج البحرين ، والمرج هو: الخلط في كلام العرب ، .. فلو كان البرزخ ، الذي بين العذب الفرات من البحرين والملح الأجاج أرضا أو يبسا ، لم يكن هناك مرج للبحرين ، وقد أخبر جل ثناؤه أنه مرجهما ، وإنما عرفنا قدرته بحجزه هذا الملح الأجاج عن إفساد هذا العذب الفرات مع اختلاط كل واحد منهما بصاحبه ، فأما إذا كان كل واحد منهما في حيز عن حيز صاحبه ، فليس هناك مرج ، ولا هناك من الأعجوبة ما ينبه عليه أهل الجهل به من الناس ويذكرون به " [٢].

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٩ ص ٢٤ ، مصدر سابق .

(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١٩ ص ٢٥ ، مصدر سابق .

الفصل الرابع
دلالة آيات البحر في القرآن على صدق النبوة

جاءت بعض آيات البحر في القرآن الكريم دالة على صدق نبوة موسى عليه السلام ، من خلال فلق البحر له ولمن آمن من قومه ، حين أمره الله تعالى بضرب البحر بالعصا ، فأصبح البحر يبساً لا ماء فيه ولا بلل ، يسيرون فيه مع السلامة ، فنجاه الله تعالى ونجى من آمن معه ، وأهلك فرعون ومن معه بإغراقهم ، فكانت معجزة بينة ، وآية ، على صدق موسى عليه السلام في دعوته ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ الدخان: ٣٢ - ٣٣ ، ومن الآيات : فلق البحر [١] ، قال الرازي : " فلق البحر في الدلالة على وجود الصانع القادر وفي الدلالة على صدق موسى كالأمر الضروري "[٢] .

وكان فلق البحر في آيات من القرآن منها : قوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ الشعراء: ٦٣ ، قال الراغب :" الفلق : شق الشيء وإبانة بعضه عن بعض ، يقال: فلقته فانفلق ، قال : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ الأنعام: ٩٦ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ ﴾ الأنعام: ٩٥ ﴿ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ الشعراء: ٦٣ "[٣].

---

(١) الكشاف ج ٤ ص٢٨١ ، مصدر سابق .

(٢) التفسير الكبير ج ٣ ص ٦٨ ، مصدر سابق .

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٣٨٥ ، مصدر سابق .

وجاءت في موضع آخر :بـ (الفَرْق) قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ البقرة: ٥٠ ، قال الراغب : " فَرْق : الفَرْق : يقارب الفَلْق ، لكن الفلق يقال اعتبارا بالانشقاق والفرق يقال اعتبارا بالانفصال ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ ﴾ "[١].

وهي معجزة لم يؤتيها الله تعالى أحدا من العالمين غير موسى عليه السلام ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ المائدة: ٢٠ ، وهي نعمة لمن آمن من قوم موسى عليه السلام امتن الله تعالى بها عليهم كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ البقرة: ٤٠ ، والنعمة في الآية السابقة : هي فلق البحر[٢].

وقد كان النبي ﷺ يصوم هذا اليوم الذي نجى الله تعالى به موسى حين انفلق البحر له ، شكراً لله تعالى ، وأنه أحق بموسى من يهود المدينة ، كما في صحيح البخاري : " قَدِمَ النبي ﷺ المَدِينَةَ فَرَأَى الْيَهُودَ تَصُومُ يوم عَاشُورَاءَ ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يَوْمٌ صَالِحٌ ، هذا يَوْمٌ نَجَّى الله بَنِي إِسْرَائِيلَ من عَدُوِّهِمْ ، فَصَامَهُ مُوسَى ، قال : فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ "[٣] .

---

(١) غريب القرآن ، السجستاني ، ص ٣٧٧ ، دار قتيبة – ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م ، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي ، ج ١ ص ١٠١ ، مصدر سابق .

(٣) صحيح البخاري ج ٢ ص ٧٠٤ ، مصدر سابق .

وكان المشركون يطالبون المؤمنين بحجة على صدق نبوة الرسول محمد ﷺ ، مثل الذي أعطي موسى عليه السلام من فلق البحر ، قال الرازي : " فإن قيل : فما السبب في أن الله تعالى منعهم وما أعطاهم ؟

قلنا : إنه لما أظهر المعجزة الواحدة فقد تم الغرض ، فيكون طلب الباقي تحكماً ، وظهور القرآن معجزة ،فما كان مع ذلك حاجة إلى سائر المعجزات ،

وأيضاً فلعله تعالى علم أنهم يصرون على العناد بعد ظهور تلك المعجزات الملتمسة ، وكانوا يصيرون حينئذ مستوجبين لعذاب الاستئصال ، فلهذا السبب ما أعطاهم الله تعالى مطلوبهم ، وقد بين الله تعالى ذلك بقوله : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأنفال: ٢٣ ، بين أنه لم يعطهم مطلوبهم لعلمه تعالى أنهم لا ينتفعون به ، وأيضاً ففتح هذا الباب يفضي إلى ما لا نهاية له ، وهو أنه كلما أتى بمعجزة جاء واحد آخر ، فطلب منه معجزة أخرى "[1].

وجاءت كيفية إغراق المكذبين بموسى عليه السلام في مواضع في القرآن ، منها :

قوله تعالى : ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الشعراء: ٦٠ -٦٦ وقوله تعالى: ﴿ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ ﴾ طه: ٧٨ .

(١) التفسير الكبير ج ١٩ ص ١١ ، مصدر سابق .

إن في فلق البحر لعبرة وعظة في نهاية من ادعى الألوهية ، فقد أورد القرآن ما حصل لفرعون حينما أغرقه الله ، وأغرق جنوده في البحر فهلكوا عن آخرهم، كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٨ فأصبح لمن بعده عبرة وموعظة وعلامة ، وكان في أنفسهم أن فرعون أعظم شأناً من أن يغرق [١] .

وكان فلق البحر لموسى عليه السلام حين ضرب البحر بالعصا ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الشعراء: ٦١ – ٦٦ وكانت المعجزة من وجوه :

أحدها : أن تفرق ذلك الماء معجز .

وثانيها : أن اجتماع ذلك الماء فوق كل طرف منه حتى صار كالجبل ، من المعجزات أيضاً ، لأنه كان لا يمتنع في الماء الذي أزيل بذلك التفريق أن يبدده الله تعالى حتى يصير كأنه لم يكن ، فلما جمع على الطرفين صار مؤكداً لهذا الإعجاز .

وثالثها : أن أبقى الله تعالى تلك المسالك حتى قرب منها آل فرعون ، وطمعوا أن يتخلصوا من البحر كما تخلص قوم موسى عليه السلام[٢] .

---

(١) تفسير البحر المحيط ج ٥ ص ١٨٩ ، مصدر سابق .

(٢) التفسير الكبير ج ٢٤ ص ١٢٠ ، مصدر سابق .

وفي كيفية الانفلاق قولان :

فالمشهور كونه خطياً ، وفي بعض الآثار ما يقتضي كونه قوسياً ، إذ فيه أن الخروج من الجانب الذي دخلوا منه ، قال الألوسي : " واحتمال الرجوع في طريق الدخول يكاد يكون باطلاً ، لأن الأعداء في أثرهم " [1].

(١) روح المعاني ج ١ ص ٢٥٥ ، مصدر سابق .

الفصل الخامس
دلالة آيات البحر في القرآن على بعض المعاني المتفرقة

أولاً : القرية البحرية :

من دلائل آيات البحر في القرآن : وجود القرية البحرية ، وهي القرية المجاورة للبحر على شاطئه ،كما في قوله تعالى : ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٣ فالمراد بالقرية التي كانت حاضرة البحر في الآية الكريمة كما يذكر المفسرون هي ما كانت مجاورة البحر وبقربه وعلى شاطئه[١] ، وهي القرية البحرية [٢]،

ومعلوم أنها ليست في البحر وإنما هي مقاربة له [٣]، والقريب من الشيء يقال إنه حاضره [٤]، يقال كنت بحضرة الدار أي بقربها [٥].

ثانياً : العمل في البحر :

وجاء البحر في القرآن الكريم واستنبط من سياقه أنه من مصادر العمل والتعيش لمن احتاج كما في قوله تعالى : ﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٩ ص ٩٠ ، مصدر سابق .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٣٢٨ ، مصدر سابق .

(٣) الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ، الماوردي ، ج ٤ ص ٦٣ ، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤١٩ هـ –١٩٩٩ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود .

(٤) فتح الوهاب شرح منهج الطلاب ، زكريا الأنصاري ، ج ٢ ص ٤٩٣ دار الفكر – بيروت .

(٥) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ج ٧ ص ٣٠٥ ، مصدر سابق .

سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٣ ، وقوله تعالى : ﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ ﴾ الكهف: ٧٩ ، فقد كانوا يؤاجرون في البحر ويكسبون قوتهم [١] .

ثالثاً : مكان التقاء موسى عليه السلام بالخَضِر :

وقد جعل الله تعالى على شاطئ البحر في القرآن الكريم المكان الذي أوحى الله تعالى فيه إلى موسى عليه السلام أنه سيجد فيه عبدا من عباد الله العالِمين ، عنده من العلم ما ليس عند موسى عليه السلام ، وهو الخضر ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ ﴾ الكهف: ٦٠ -٦٣ أي: أذكر حين قال موسى ، وهو ابن عمران (لفتاه) أي : لصاحبه : يوشع بن نون ، كان معه في سفره ، (لا أبرح) أي : لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) [٢] ، ومجمع البحرين هو : ملتقى بحري : قال الرازي : " وليس في اللفظ ما يدل على تعيين هذين البحرين ، فإن صح بالخبر الصحيح شيء فذاك وإلا فالأولى السكوت عنه " [٣].

---

(١) تفسير السمرقندي ج ٢ ص ٣٥٧ ، مصدر سابق .

(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ٣ ص ٥٢٧ مرجع سابق ، تفسير البغوي ج ٣ ص ١٧١ ، مرجع سابق .

(٣) التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٢٤، مرجع سابق .

الخاتمة

وبعد ، فيمكن أن نخلص إلى أهم النتائج من هذا البحث وهي كما يلي :

أولاً : ورود لفظ " البحر " :

- إذا تتبعنا مفردة " بحر " في القرآن الكريم ، وجدناها ذكرت في القرآن إحدى وأربعين مرة على اختلاف ألفاظها : إفرادا ، وتثنية ، وجمعاً .
- وردت مفردة " بحر " بلفظ الإفراد : " البحر " في اثنين وثلاثين موضعاً ، في عشرين سورة ، ووردت بلفظ الإفراد : " بحر " في موضع واحد في سورة: (النور) .
- وردت مفردة " بحر " بلفظ التثنية في خمسة مواضع ، في خمسة سور .
- وردت مفردة " بحر " بلفظ الجمع في ثلاثة مواضع ، في ثلاث سور .

ثانياً : أن البحر في اللغة وفي استعمال القرآن يطلق على :

المالح غالباً ، ويطلق على العذب وهو النهر ، ومن مرادفات البحر : اليَمّ ، والذي يطلق على : النهر العذب .

ثالثاً : دلالات آيات البحر :

لا تخرج عموماً عن أربعة معاني في الجملة ، وهي كما يلي :

- الأول : الدلالة على وحدانية الله تعالى واستحقاقه العبادة ، وتظهر من أمور ، منها :

  أولاً : حمل البحر السفن وسيرها فيه .

  ثانياً : ظلمات البحر .

ثالثاً : شمول علم الله تعالى على ما في البحر .

رابعاً : الضُّرُّ والغَرَق في البحر .

خامساً : الحاجز بين البحرين .

سادساً :الفساد في البحر .

سابعاً: امتلاء البحر دون أن يفيض .

ثامناً : التمثيل بالبحر .

تاسعاً : تسجير البحر .

- الثاني : الدلالة على نعم الله تعالى وامتنانه على عباده ، وتظهر من أمور ، منها :

أولاً : أكل صيد البحر وطعامه .

ثانياً : حلية البحر .

ثالثاً : التجارة في البحر .

رابعاً : ركوب البحر .

خامسا : عدم اختلاط البحرين .

- الثالث : الدلالة على صدق نبوة من أرسله الله تعالى .

حيث جاءت بعض آيات البحر في القرآن الكريم دالة على صدق نبوة موسى عليه السلام ، من خلال فلق البحر له حين أمره الله تعالى بضرب البحر بالعصا ، فأصبح البحر يبساً لا ماء فيه ولا بلل ، يسيرون فيه مع السلامة ، وهي معجزة لم يؤتيها الله تعالى أحدا من العالمين غير موسى عليه السلام .

- الرابع : الدلالة على بعض المعاني المتفرقة ، ومنها :

أولاً : القرية البحرية .

ثانياً : العمل في البحر .

ثالثاً : مكان التقاء موسى عليه السلام بالخضر .

رابعاً : أن البحر في القرآن جاء عند بعض المفسرين على أربعة أوجه :

أحدها : البحر المعروف في الأرض ، ومنه قوله تعالى في سورة الكهف ٦٠ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ ﴾ وفي سورة الدخان ٢٤ : ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

والثاني : [البحر] الماء العذب والمالح ، ومنه قوله تعالى في سورة الرحمن ١٩ : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

والثالث : بحر تحت العرش ، ومنه قوله تعالى في سورة الطور٦ ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ﴾

والرابع : العامر من البلاد ، ومنه قوله تعالى في سورة الروم ٤١ : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

المراجع

١. أحكام القرآن ، ابن العربي الوفاة: ٥٤٣هـ ، دار الفكر للطباعة والنشر – لبنان ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .

٢. أحكام القرآن ، الجصاص أبو بكر ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤٠٥ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .

٣. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي. الوفاة: ١٣٩٣هـ. ، دار الفكر للطباعة والنشر. – بيروت. – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م. ، تحقيق : مكتب البحوث والدراسات.

٤. بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ابن رشد ، دار الفكر – بيروت

٥. البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، دار المعرفة – بيروت – ١٣٩١ ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

٦. التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس – ١٩٩٧م .

٧. التسهيل لعلوم التنزيل ، الكلبي ، دار الكتاب العربي – لبنان – ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م ، الطبعة : الرابعة .

٨. تفسير البحر المحيط ، أبي حيان الأندلسي ، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود – الشيخ علي محمد معوض .

٩. تفسير البغوي ، دار المعرفة – بيروت ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك

١٠. تفسير البيضاوي ، دار الفكر – بيروت .

١١. تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، دار الفكر – بيروت ، تحقيق : د.محمود مطرجي .

١٢. تفسير القرآن ، السمعاني ، دار الوطن – الرياض – السعودية – ١٤١٨هـ-١٩٩٧م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم .
١٣. تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، دار النشر : دار الفكر – بيروت – ١٤٠١ .
١٤. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، الرازي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى .
١٥. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ، الحميدي ، مكتبة السنة – القاهرة – مصر – ١٤١٥ – ١٩٩٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الدكتورة : زبيدة محمد سعيد عبد العزيز .
١٦. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر ، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب – ١٣٨٧ ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري .
١٧. التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق – ١٤١٠ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية .
١٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م ، تحقيق : ابن عثيمين .
١٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، دار الفكر – بيروت – ١٤٠٥ .
٢٠. الجامع الصحيح المختصر ، البخاري ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، الطبعة : الثالثة ، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا
٢١. الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، دار النشر : دار الشعب – القاهرة .
٢٢. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني ، الماوردي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ١٤١٩ هـ –١٩٩٩ م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ علي محمد معوض – الشيخ عادل أحمد عبد الموجود .
٢٣. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٤. زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ، المكتب الإسلامي – بيروت – ١٤٠٤ ، الطبعة : الثالثة .
٢٥. سنن البيهقي الكبرى ، مكتبة دار الباز – مكة المكرمة – ١٤١٤ – ١٩٩٤ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا .
٢٦. شرح صحيح البخاري ، ابن بطال ، مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم .
٢٧. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، أبو عبد الله الزرعي ،دار الفكر – بيروت – ١٣٩٨ ، تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي .
٢٨. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي .
٢٩. طلبة الطلبة في الإصطلاحات الفقهية ، النسفي ، دار النفائس – عمان – ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م. ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك.
٣٠. غريب القرآن ، السجستاني ، دار قتيبة – ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م ، تحقيق : محمد أديب عبد الواحد جمران .
٣١. فتح الوهاب شرح منهج الطلاب ، زكريا الأنصاري ، دار الفكر – بيروت .
٣٢. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الظاهري ، مكتبة الخانجي –القاهرة .
٣٣. الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب ، حمد آل معمر المتوفى : ١٢٢٥هـ .
٣٤. القاموس المحيط ، الفيروزآبادي ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت .
٣٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي .
٣٦. الكشف والبيان (تفسير الثعلبي) ، الثعلبي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور .

٣٧. اللباب في علوم الكتاب ، عمر بن عادل ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض .

٣٨. لسان العرب ، ابن منظور ، دار النشر : دار صادر - بيروت ، الطبعة : الأولى .

٣٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الأندلسي ، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد .

٤٠. مختار الصحاح ، الرازي ، دار النشر : مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥ ، الطبعة : طبعة جديدة ، تحقيق : محمود خاطر .

٤١. المصنف ، الصنعاني ، دار النشر : المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣ ، الطبعة : الثانية ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .

٤٢. معاني القرآن الكريم ، النحاس ، جامعة أم القرى - مكة المرمة - ١٤٠٩ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد علي الصابوني .

٤٣. المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ،ابن قدامة ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى .

٤٤. المفردات في غريب القرآن ، اسم المؤلف: الراغب الأصفهاني ، دار المعرفة - لبنان ، تحقيق : محمد سيد كيلاني .

٤٥. من آيات الله في البحار ، تأليف : ماهر أحمد صوفي ، ط دار المعارف ، سوريا ، حمص ، ١٤١٦هـ .

٤٦. موطأ الإمام مالك ، مالك بن أنس ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - مصر - - ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

٤٧. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر ،ابن الجوزي ، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : محمد عبد الكريم كاظم الراضي .

٤٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي ، دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي .

٤٩. النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، الماوردي ، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان – الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم .

٥٠. نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ ، اسم المؤلف: محمد بن علي الترمذي ، دار الجيل – بيروت – ١٩٩٢م ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة .

٥١. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، الواحدي ، دار القلم ، الدار الشامية – دمشق ، بيروت – ١٤١٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي .